حوليات آداب عين شمس المجلد ٤٦ (عدد أكتوبر – ديسمبر ٢٠١٨)
http://www.aafu.journals.ekb.eg
(دورية علمية محكمة)
جامعة عين شمس
كلية الآداب

مفهوم الوحي عند عبدالكريم سروش

كفاح علي عثمان *

كلية العلوم الإسلامية/ قسم الفلسفة / جامعة بغداد

المستخلص

الوحي مفردة تأخذك إلى عالم الملكوت، أخذت أقوى عقول الفلاسفة والمفكرين إلى أصعب المواطن غموضاً، فما كان منهم إلا أن فسروها بما هو أبهم من معانيها، لأن الوحي لا يرتبط بشخص أو ابتكره شخص، هو مفهوم إلهي، يعني ما لايستطيع أو تستطيع أيها المفكر أن تدرك كنهه بعقلك المخلوق من المخاطب الحق تبارك وتعالى، فالوحي لغز من ألغاز خلقه.

لقد أثارت نظرية عبد الكريم سروش في الوحي هزة عنيفة في الأوساط المحافظة الإيرانية، بل لدى بعض الإصلاحيين، إذ إنهم بالعصور المعرفي وضعف تشعبه بعلوم القرآن والسيرة النبوية وخلطه بين الإلهام والوحي دون الانتباه إلى الفوارق بين الأمرين.

تلخص نظرية سروش في الوحي إلى اعتبارها شكلاً من أرقى أنواع الإلهام التي ذكر الله عدداً منها في القرآن الكريم، سواء كانت الأطراف المعنية بالوحي أو الإلهام بشراً مثل أم موسى أو كانت غير عاقلة من حيوان مثل النمل.

انقسمت ردود الأفعال حول آراء سروش عن الوحي، هناك من كفر الباحث وأثار ضجة حول مواقفه وإنكاره ودعا إلى إقامة الحد عليه، وهناك من دعا إلى مجادلة مع الرجل علميا ودحض نظريته وبيان خطئها أو انحراف قصدها علمياً.

الكلمات المفتاحية: الوحي تعليم غيبي لمن اصطفاه سبحانه

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب - جامعة عين شمس ٢٠١٧.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيد المرسلين أبي القاسم محمد وعلى اله وصحبة الميامين إلى يوم الدين .

أما بعد.....

مفهوم الوحي، مفردة تأخذك في عالم الملكوت، أخذت أقوى عقول الفلاسفة والمفكرين إلى أصعب المواطن غموضا ،فما كان منهم إلا إن فسروها بما هو أبهم من معانيها، لان الخطاب هنا لا يرتبط بشخص، أو ابتكره شخص، هذا الخطاب الهي، يعني هذا ما لا استطيع، أو تستطيع أيها المفكر إن تدرك كنهه بعقلك المخلوق من المخاطب، فالوحي لغز من الغاز خلقه، وقد واجه الباحث صعوبة في تقبل هذه النظريات والاقتناع بها، لان نظرتي للقران والوحي نابعة من إيماني بإسلامي القويم، ومن إن القران نزل على صدر محمد صلى الله عليه واله، وانه من الملكوت الأعلى.

لقد كثرت الكتابات الفلسفية في المناخ الإسلامي حول شرح موضوع النبوة والوحي، تجمعت الآراء بمجملها حول الخيال، والخيال الخلاق ،والخيال الجزئي الذي تتمتع به النفس السامية بحيث يمكن القول إن مجمل ما قيل هناك أساسان هما :النفس وقدرة الخيال النبوية، والاتصال بالعقل الفعال بما يفيض من علوم ومعارف تنعكس على صفحة نفس النبي صورا جزئية، هذان الأساسان راسخان في مفهوم الوحي عند الفلاسفة المسلمين قديماً وبعض المفكرين حديثاً مثل الكندي، الفارابي، ابن عربي فالوحي عندهم بصورة عامة هو ((إدراك خاص متميز عن سائر الادراكات وليس نتاج الحس، ولا العقل والغريزة، وإنما هو شعور خاص يوجده الله سبحانه وتعالى في بعض عباده الصالحين وهو يغير الشعور الفكري المشترك بين أفراد الإنسان عامة))[سبحاني، ١٣٠٠هـ ، ص١٨٨].

فالقراءة الحداثوية للوحي، قد استحضرت الإنسان كبديل عن المصدر الإلهي للوحي، وعملت في بعض تجلياتها على زحزحة المنظومة الدينية عن كل مرتكزاتها لتبني أفقا آخر. ومن هذه القراءات قراءة محمد اركون المفكر الجزائري، وعبد الكريم سروش المفكر الإيراني. وهذا كان موضوع بحثي في المبحث الأول تناولت الوحي كلغة واصطلاح وفي المبحث الثاني تناولت الوحي عند عبد الكريم سروش مقسما إلى حياته والوحي والالهام عند الشعراء وتناولت في المبحث الثالث الوحي والنبوة عند عبد الكريم مقسم الى الوحي ودور النبي فيه وثانيا الظاهرة النبوية وأنهيت البحث بالمبحث الرابع الذي تناول نقد نظرية الوحي عند عبد الكريم سروش.

المبحث الأول
الوحي لغة واصطلاحا

أ- الوحي : لغة:

ليست كلمة الوحي ومشتقاتها من الكلمات التي ادخلها الإسلام إلى القاموس العربي ، رغم انه ادخل عليها دلالات جديدة واستعمله في معاني لم تكن بالضرورة معروفة في اللغة العربية.

الوحي هو **((الإشارة والكتابة ، الإلهام ، والكلام الخفي، وكل ما ألقيته إلى غيرك . يقال: وحيت إليه الكلام))** (ابن منظور : ١٤).

الوحي **((في الأصل هو الإعلام في الخفاء))** والكشف عن أمر مجهول أو الإعلام بسرعة وقد يطلق ويراد به اسم المفعول منه أي الموحي وهو ما ينكشف لك بالفعل .

وقيل **((الوحي أصله التفهم وكل ما فهم به الشيء من الإشارة والإلهام والكتب فهو وحي))** (صليبا ، ٢٠٠٥ ، ص٥٧٠).

الوحي الإشارة و الرسالة والكتابة . و هو مصدر وحي إليه سمي من باب وعد . وأوحى مثله ، وجمعه وحي على فعول ، وبعض العرب يقول وحيت إليه و وحيت له و أوحيت إليه ، ثم غلب استعمال الوحي فيما يلقى إلى الأنبياء من عند الله تعالى . ولغة القران الفاشية : أوحى و الوحى : السرعة يمد ويقصر (وحا \ وحى). وموت وحي : سريع وزنا ومعنى . وزكاة وحية أي سريعة : وحيت الذبيحة أحيها من باب وعد : ذبحته ذبحا وحيا . ووحي الدواء الموت توحيه : عجله . وأوحاه مثله . واستوحيت فلانا استصرخته (زراقط ، ٢٠١٢، ص١٠٥).

إن هذا التعريف نقل عن عبد الله التميم الأصفهاني حيث يتابع مستعرضا موارد استخدام كلمة وحي في القران الكريم فيقول (زراقط ، ٢٠١٢، ص٩٢) : -

قيل في قوله تعالى **((فأوحى إليهم أن سبحوه بكرة وعشيا))** أي كتب. **وفي قوله تعالى: ((وأوحى ربك إلى النحل))** أي الهم. وأما الوحي بمعنى الإشارة فهو كما قال الشاعر:

يرمون بالخطب الطوال وتارة وحي الملاحظة خيفة الرقباء

وفي الشريعة **((وحي)) ((هو كلام الله تعالى المنزل على نبي من أنبياءه وقيل : الوحي ظاهر وباطن ، أما الظاهر فثلاثة : الأول ما ثبت بلسان الملك ، فوقع في سمع النبي بعد علمه بالمبلغ بأية قاطعة ، والثاني ما وضح له بإشارة الملك من غير بيان الكلام ، والثالث الإلهام – وأما الباطن فما ينال بالرأي والاجتهاد))** (صليبا ، ٢٠٠٥ ، ص٥٧٠).

ب- معنى الوحي في القران :

تكرر استعمال كلمة الوحي في القران الكريم ما يقارب ثمان وسبعين مرة تقريبا . ولا تفيد هذه الكلمة في جميع مواردها معنى واحد رغم وجود عنصر أو عناصر مشتركة بين جميع موارد استعمالها ويكاد يتفق الرأي على أربعة معاني تستخدم فيها كلمة الوحي في القران هي: -

١- **الهداية التكوينية**: - بمعنى خلق بعض الكائنات وتسييرها بطريقة محددة سواء كانت مخلوقا مدركا حيا، أم غير ذلك، ومن الحالة الأولى إخباره سبحانه وتعالى النحل وتعليمه كيفية بناء بيته في الجبال أو الشجر قوله تعالى: **((وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون))** (سورة النحل الآية (٦٨)) وقد ورد في نفس المعنى في حق الإنسان كما في قوله تعالى : **((وعلم ادم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين))** (سورة البقرة الآية (٣١)).

٢- **الوحي بمعنى الإلهام** : - وردت كلمة الوحي بمعنى الإلهام في حالات جزئية كما في قضية أم النبي موسى (عليه السلام) **((وأوحينا إلى أم موسى أن ارضعيه فإذا خفتي عليه فالقه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين))**(سورة القصص الآية ١٧) وفي نفس المعنى عن الحواريين الذين ألهمهم الله الخير حيث دعاهم إلى تأييد النبي عيسى عليه السلام ونصرته قال تعالى **((وإذا أوحيت إلى الحواريين أن امنوا بي وبرسولي قالوا أمنا واشهد إننا مسلمون))** (سورة المائدة الآية ١١١).

٣- **الوحي بمعنى الوسوسة**: من المعاني التي استعملت كلمة وحي ، الحديث بين الشياطين وبين أتباعهم ، كما في قوله تعالى : **((وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا))** (سورة الإنعام الآية ١١٢)

وفي نفس السورة قوله تعالى **((ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق وان الشياطين ليوحون إلى أولياءهم ليجادلوكم وان أطعمتموهم إنكم لمشركون))** (سورة الإنعام الآية ١٢١).

٤- **الكلام الإلهي مع الأنبياء** : هنا معنى الوحي يمثل المعنى الاصطلاحي لهذه الكلمة ، وهو يعني الخطاب الإلهي في مصطلح الشرع وهو الذي يخص به الخالق تعالى أنبياءه.

إن الوحي هو : **((إدراك خاص متميز عن سائر الادراكات ، وليس نتاج الحس ، ولا العقل والغريزة ، وإنما هو شعور خاص يوجده الله سبحانه وتعالى في بعض عباده الصالحين، وهو يغاير الشعور الفكري المشترك بين أفراد الإنسان عامة))** (سبحاني، ١٣١١هـ ، ص ١٨٨).

وهذا الخطاب إما يكون بهدف ،أمره بفعل ، أو إخباره عن أمر ، أو تحميله رسالة إلى غيره من الناس:-

أ- الأمر بفعل كما في قوله تعالى **((فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم))** (سورة الفرقان الآية ٣٦) .

ب- الإخبار عن أمر كما في قوله تعالى **((فلما ذهبوا به واجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون))** (سورة يوسف الآية ١٥).

ج- تحميل الرسالة ونقل التعاليم كما في قوله تعالى : **((اتل ما أوحي إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا))** (سورة الكهف الآية ٢٧) وهذا الوصف هو الأكثر استخداما لكلمة وحي في القران.

الخطاب الإلهي هنا على أنواع :

١- **وحي صوتي** :- هو شكل الوحي الذي جاء إلى موسى (عليه السلام) كما في قوله تعالى : **((ورسلا قد قصصنهم من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما))** (سورة النساء الآية ١٦٤).

٢- **وحي فؤادي** : - هو بداية الوحي على النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) .

٣- **الوحي المجرد** :هو أرقى أنواع الوحي وهو نزول جبرائيل (عليه السلام) على النبي (جهامي وآخرون، ٢٠٠٤ ، ص ١١١٠) .

وهناك أحاديث كثيرة تتحدث عن كيفية نزول جبرائيل أو كيفية الوحي ومحاولة تفسير هذا الارتباط بين عالم الغيب وعالم الإنسان.

المبحث الثاني
الوحي عند عبد الكريم سروش

١- حياته:

عبد الكريم سروش حسين حاجي فرج الدباغ، من كبار المثقفين الإيرانيين الدينيين المعاصرين، من مواليد طهران سنة ١٩٤٥، درس في المدرسة الثانوية (الرفاه) وهي من المدارس التي كانت تحرص على الجمع في مناهجها بين الدروس الدينية وبين المواد العلمية المعاصرة، التحق في جامعة لندن في فرع الكيمياء وحصل على الدكتوراه، وكان إضافة لتخصصه في الكيمياء والصيدلة متبحراً في فلسفة العلم ومطلعاً على معطيات أحدث تياراتها النقدية الحديثة وتراث المدرسة الوضعية.كان سروش قريباً من علي شريعتي ومرتضى مطهري، وهما وجهان محوريان في فترة ما قبل الثورة في إيران، وبعد الثورة عاد إلى بلده وشغل مناصب عليا في الدولة وأخرى بحثية أهمها الأبحاث والدراسات الثقافية(ويكيبيديا ، الموسوعة الحرة).

قد يُعدّ المفكر الإيراني عبد الكريم سروش من أكثر الباحثين الإسلاميين المُجدّدين إثارةً للجدل والخلافات، لما تطرحه كتاباته من قضايا وإشكاليات ظلّ صداها يتردّد في إيران وبقيّة الدول الإسلاميّة حتىّ بعد هجرة الباحث إلى أمريكا واستقراره في واشنطن. ولكن لم أعثر في كلام سروش على جديد، وإن كان فحوى الكلام مختلفاً إلى حد ما، حيث بدأ أطروحاته أكثر وضوحاً ولكن ليس هناك شيء جديد حيث سبقه إلى ذلك بعض المفكرين من أمثال نصر حامد أبو زيد ومحمد أركون وقد تأثر سروش بأمثال هؤلاء العلماء، ومن أهمّ القضايا التي ظلّت تثير الاهتمام ما خلّفته ثلاثيته الشهيرة: "القبض والبسط في الشريعة و"بسط التجربة النبوية و"الصراطات المستقيمة من جدل مُتعلّق بنظريته في الوحي النبوي، وهي تلك النظريّة التي اعتبر فيها أنّ الوحي عمليّة بشريّة راقية، وأنّ النبيّ محمّداً هو الذي خلق القرآن. فالنصّ القرآنيّ الذي بين أيدينا وفق عبد الكريم سروس هو نصّ نستطيع أن نلمس فيه: "معارف دينيّة يمكن أن يتطرّق إليها الخطأ بالنظر إلى المعارف الإنسانيّة المعاصرة . وهذا الحكم خاضع من قِبَله إلى النظرة التاريخيّة للإنسانيّة التي تعتبر جميع المعارف البشريّة واستنباطاتها الدينيّة تاريخيّة، وهي عرضة للخطأ. فكيف تسنى له ذلك؟

لقد أثار صدور مقالة سروش بخصوص نظريته في الوحي هزة عنيفة في الأوساط المحافظة الإيرانية ، بل لدى بعض الإصلاحيين ، إذ اتهم بالقصور المعرفي وضعف تشعبه بعلوم القران والسيرة النبوية و خلطه بين الإلهام والوحي من دون انتباه إلى الفوارق بين الأمرين(الاصفهاني ، ٢٠٠٨ ، ص١٣٤) .

تتلخص نظرية سروش في الوحي إلى اعتباره شكلا من أرقى أنواع الإلهام التي ذكر الله عددا منها في القران الكريم ، سواء كانت الأطراف المعنية بالوحي أو الإلهام بشرا مثل أم موسى ، أو كانت غير عاقلة من حيوان مثل النحل ، أو جمادا أو ملائكة .

٢- الوحي والالهام عند الشعراء :

إن الوحي الذي نزل على الرسول الكريم محمد (ص) ، في تصور سروش لا يختلف في عمليته عن الإلهام الذي يحصل للشعراء والعرفاء ، الا انه يحصل للأنبياء بمرتبة أعلى (الكتابي ، ٢٠١٢)، يعني هذا إن الإلهام مراتب ومقامات متعددة كما يعني إن النبي يحتاج في عملية تبليغه لذلك الوحي إلى لغة مألوفة مستقاة من البيئة الاجتماعية والأقوام الذين يجاليهم ويعايشهم، ومن ثم يكون منطقيا اصطباغ الرسالة قالبا ومحتوى وشكلا ومعنى بعناصر خارجية وذاتية تخص شخصية الرسول الكريم ، لأنه لا يعقل أن تكون شخصية مصطفاة لا دور لها سوى تبليغ الوحي، مثلما تعني ذلك أدبيات الأوساط التقليدية والمحافظة دون وعي منها، فالقول باصطفاء الرسول الأكرم وعظمته يتوافق مع الرأي الذي يذهب إليه سروش في ان الوحي الإلهي والتبليغ النبوي تم بطريقة ((نحلية)) تحول الرحيق إلى عسل مصفى (الكتابي ، ٢٠١٢) .

كما يستمد الشعر قوته من الخيال وكلما كانت الصور الخيالية في الشعر اقوى كان الشعر اقرب إلى الاصالة وبعكس ذلك لو اننا جردنا الشعر من الخيال فان الشعر سينحدر نحو الهاوية وينتهي إلى السقوط ولن يعدو كونه كلاما موزونا أذا كان محافظا على وزنه في حين ان الوحي لا ينشا من قوة الخيال وإنما هو بيان لحقائق العالم والقران الكريم يتحدث عن معرفة الله ، ونفي الشرك ، وعن نظام السماء والارض والكائنات والنعم الإلهية والإحكام الشرعية والحياة الاخرة وقصص الأنبياء والامم السالفة وما شاكل ذلك وهو مما لا يحتاج في بيانه إلى الخيال (الطباطبائي ، ١٤٠٤هـ) .

مضافا إلى إن المبالغة تلعب دورا كبيرا في الشعر حتى قيل ((إن اعذب الشعر اكذبه)) كما نجد ذلك في هذا البيت لسعدي الشيرازي حيث يقول

لولا الدموع وفيضهن لاحرقت ارض الوداع حرارة الاكباد

أما وحي الانبياء ووحي القران فهو اجنبي عن هذه المبالغات التي هي نوع من الكذب فلا يتطرق الوحي الا لحقائق العالم والامور الواقعية .

واساسا لا يمكن التعاطي مع الشعر بجدية ومن هنا فقد ذهب علماء الإسلام إلى عدم حد الشاعر أذا اقر على نفسه في ابياته الشعرية ومما يروي ذلك قصة الفرزدق مع سليمان ابن عبد الملك حيث ذكر في بعض ابياته معانقة لكواعب الحسان فقال له سليمان قد وجب عليك الحد فاجابه الفرزدق لقد درئ الله عني الحد بقوله ((وانهم يقولون مالا يفعلون)) في حين إن الوحي بعكس الشعر بعيد عن الهزل وفي ذلك قال تعالى **((انه لقول فصل وما هو بالهزل))** (سورة الطارق الاية ١٣-١٤) .

واذا تجاوزنا ذلك فان قول سروش **((إن الشعر مثل الوحي فهو استعداد وقريحة))** انما هو اجتهاد مقابل النص حيث قال تعالى **((وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو الا ذكر وقران مبين))** (سورة يس الاية ٦٩)، كما اكد النبي هذه الحقيقة مرارا بقوله ((ما انا بشاعر)) كما إن شعراء العرب من العارفين بصناعة الشعر والمعاصرين للنبي حينما كانوا يستمعون للقران كانوا يذعنون بعدم كونه شعرا فقد جاء في سيرة ابن هشام إن النبي قراء على عتبة ابن ربيعة بعض ايات سورة فصلت فاهتز لها وذهب الى قريش يقول : اني قد سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة (الطباطبائي، ١٤٠٤هـ) .

هذا وقد عاش النبي الاكرم ٤٠ سنة قبل البعثة بين قومه في مكة وفي بيئة تمجد الشعراء وتعلق روائع قصائدهم على جدار الكعبة فلو كان النبي يتمتع بقريحة شعرية لادلى بدلوه في هذا المجال الذي تكثر به المغريات ولا صبح واحدا من شعراء البارزين ولكن لم ينقل لنا رواة الاشعار والمؤرخون بينا واحدا عن النبي نظمه في الجاهلية مع إن الدواعي إلى نقل هذا الشعر كانت كثيرة ولكن لم ينقل عنه ذلك بل لم تنقل عنه خطبة أو كلمة قصيرة في الحكمة وامر الدين والدنيا قبل البعثة وهذا ما اشار إليه القران الكريم حيث يعد بحق من اعلام النبوة **((قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا ادراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله افلا تعقلون))** (سورة يونس الاية ١٦).

المبحث الثالث

الوحي والنبوة عند عبد الكريم سروش

١- الوحي ودور النبي فيه

طبقا للرواية التقليدية لم يكن النبي سوى وسيلة ، حيث يودي إلى الناس ما ياتيه به جبرائيل ، ولكنني ارى إن النبي كان له دور محوري في خلق القران . وان الاستعارة الشعرية تساعد على توضيح هذه الحقيقة . فالنبي يحس – مثل الشاعر تماما – إن قوة خارجية تستحوذ عليه، ولكنه في الواقع وفي جميع الاحوال يقوم بكل شيء وفي الحقيقة كون هذا الالهام نابعا من الداخل أو من الخارج لا موضوعية له هنا ، إذ لا تمايز بين مستويات الوحي على الصعيد الداخلي أو الخارجي ، إن هذا الالهام ينبثق من (نفس النبي) ونفس كل شخص الهية ، الا إن النبي يختلف عن سائر الاشخاص ، ذلك انه ادرك الهية هذه النفس ، ويخرج ما بالقوة إلى ما بالفعل ، وقد اتحدت نفسه مع الله . إن هذا الاتحاد المعنوي مع الله لا يعني صيرورة النبي الها، فهذا الاتحاد محدود حدود النبي ومحواه البشري ، وليس بما لله من سعة مطلقة في الابعاد ، وقد بين جلال الدين مولوي الشاعر

العارف هذا المعنى الموهم للتناقض بابيات شعرية مفادها : **((إن اتحاد النبي مع الله مثل صب مياه المحيط في الدورق))**، الا إن النبي خالق للوحي بشكل اخر فالذي يحصل عليه من الله هو مضمون الوحي ، ولكن هذا الوحي لا يمكن بيانه للناس بذلك المضمون ، لانه يفوق مستوى فهمهم ، بل هو فوق مستوى الكلمات ، فهذا الوحي فاقد للصورة ، وعلى النبي إن يصوغه في إطار صوري ، ليجعله في متناول فهم الجميع ، فيقوم كما يفعل الشاعر بصياغه هذا الالهام بادواته اللغوية واسلوبه الخاص ، وما يتوفر له من علم وثقافة، وكما انم لشخصيته دورا مهما في صياغة هذا النص ، وكذلك سيرته وحياته ، بما في ذلك : والده ، ووالدته ، ومرحلة صباه ، وحتى حالاته الروحية ، ولو قراتم القران تشعرون إن النبي احيانا يكون في قمة الجذل والفصاحة ، بينما يكون في احيان اخرى مفعما بالملل ، وتجده عاديا في كلامه وجميع ذلك قد ترك تاثيره على النص القراني ، وهذه هي الناحية البشرية التامة من الوحي (سروش ، ٢٠١٦ ، ص ٧-٩) .

اذن **((للقران جبنة انسانية وبشرية ، مما يعني امكان وقوع الخطا فيه))** فمن وجهة نظر التقليدية لا مجال لتطرق الخطافي الوحي . واما في العصر الحاضر فهناك كثير من المفسرين يذهبون إلى اقتصار عصمة الوحي على المسائل الدينية البحتة مثل : صفاة الله ،والحياة بعد الموت ، واسس العبادة، واما فيما يتعلق بمسائل هذا العالم والمجتمع الانساني فيمكن للخطا إن يتطرق إلى الوحي من وجهة نظر هؤلاء المفسرين ، فليس من الضروري إن يكون ما ذكره القران من الوقائع التاريخية وسائر الاديان والموضوعات العلمية صحيحا ، ودليل هؤلاء المفسرين ان هذا النوع من الاخطاء في القران لا يؤثر سلبا على نبوة النبي ، لانه انما نزل منسجما مع المستوى الفكري السائد في المجتمع انذاك ، وموافقا للغته ، حيث لا يتصور سروش إن النبي قد تكلم بلغة قومه وهو يتمتع بعلوم ومعارف مختلفة ، وإنما كان النبي مؤمنا بما يقول حقيقتا ،فكانت تلك هي لغته ، وكان الفكر فكره ، ولا يتصور سروش إن علم النبي بشان الارض والكون وتكوين الإنسان أكثر من المعاصرين له ، فان العلم الذي وصلت إليه الانسانية حاليا لم يكن للنبي علم به ، وهذا لا يؤثر على النبوة سلبا ، لانه انما كان نبيا ، ولم يكن عالما أو مؤرخا (سروش ، ٢٠١٦ ، ص ١٠) .

لا يستند الكلام المتقدم إلى أي مستند في التاريخ الإسلامي الفكري كما أنه ليس إبداعاً علمياً منطقياً مستدلاً يعتد به، وذلك لأن أبسط شخص يعلم أن الله حفظ كتابه من أن تطاله يد الإنسان ولو كان ذلك الإنسان بحجم النبي الأكرم، قال تعالى: **((وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (45) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (46) فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ(47))) [المعارج: ٤٤-٤٧].**

أما التفوق العلمي للنبي على أهل زمانه يكمن في الاتصال بالله بحكم نبوته حيث يتجرد الإنسان من جميع الأهواء النفسية ويتحول إلى كتلة من العلم الإلهي اللامتناهي وما علوم عصرنا عن الكون إلا بمقدار ورقة في محيط العلم الإلهي. إن جزءاً كبيراً من علوم عصرنا لا تعدو كونها نظريات سيثبت بطلانها بالمستقبل، وأن المقدار المنكشف من الواقع قد سبق بيانه في العلم الإلهي. فعلم النبي من علم الله ونوره من نور الله. (حوارات مع عبدالكريم سروش، مجموعة من المؤلفين، ص١٧٩). إن القرآن الكريم ليس كلام النبي ولا هو عملية تاريخية كتبها الآخرون كبيان لسيرة نبي الإسلام وإنما هو نص إلهي أنزله جبرائيل (عليه السلام) على النبي الأكرم (صلى الله عليه وسلم) ولم ينشئ النبي أياً من آياته، و هذا ما أيده القرآن مراراً.

يبسط سروش نظريته استنادا إلى مماثلة أقامها بين الوحي والروح ، فإذا كانت الروح جوهرا إلهيا تحتاج إلى الحواس من السمع والبصر وغيرهما لأدراك العالم والتفاعل معه ، وهو الإدراك الذي سيتم في ضوءه تقييم مدى استحقاقها للثواب والعقاب ، فكذلك الأمر بالنسبة للوحي **((فجبرائيل كما يحدثنا القران عنه ، عندما ينزل على النبي ويريد أن يتكلم معه باللغة العربية لا بلغة أخرى ، أي أن هذا الملك يتقيد بقيود الطبيعة ولذلك فان هذا الملك قد جاء إلى الجزيرة العربية والحجاز ليلتقي بالنبي لا في قارة أخرى ، ومقصودي أن ذلك الملك تقبل حالة القيود الطبيعية وإنحاء المحدوديات للنبي وعليه أن يرضخ لهذه القيود ويتقيد بها))** (سروش، ٢٠٠٩ ، ص ١٥٩) .

يتضح أن الوحي في التصور السروشي عملية واعية ، مع أن النبوة قامت على الاصطفاء وبذلك يمكن دراستها وتحليل عناصرها وحيثياتها بما يعزز اعتزاز المسلم بدينه و برسوله دون تلفيقات واختلافات تجعله محل تندر وتهكم الأخر ، وإذا كانت قد تمت بعض الدراسات للوحي من قبل باحثين مسلمين آخرين ، منتمين لحقول بحثية مختلفة ، أمثال هشام جعيط ومحمد أركون فإنها لم تكن بمثل هذا الصفاء الذهني والتدقيق التعبيري الذي تشكلت وقفة في مدونة سروش .

تبرز هذه السمة في عديد المواضيع والسياقات منها تشبيها للرسول الأكرم إثناء تبليغه للوحي بالبركان الثائر يقول في ذلك : **((وألان نستطيع القول بان المسالة الدينية ، أنما تتحقق ضمن ما يسمى بالتجربة الدينية ، فالنبي كالبركان المتفجر تطفح من فوهته المواد المذابة والمنصهرة ، أي أن جميع المواد والعناصر مختلطة وممتزجة مع بعضها ، حيث تشكل وحدة ظاهرية ، لكن مع مرور الزمان ،فان هذه المواد المذابة تصل إلى نقطة انجماد وتتحول إلى كتل جامدة ، تنفصل عن سائر المواد السائلة ، فهنا تتبدل الوحدة إلى كثرة ،فلا نرى بعد تلك الوحدة الظاهرة الا في اطار تجربة دينية أخرى))** (سروش ، ٢٠٠٩، ص ١٠٢).

يمكن لهذا الطرح المغاير لعملية الوحي تفسير العديد من الظواهر التي تؤرق المسلم المعاصر بسبب حالة الشك والارتياب والخمول التي أضحى عليها ، ومن بين تلك الظواهر والقضايا يمكن ذكر تفسير أسباب قصر السور المكية وطول السور المدنية بالقول انه كانت هناك محاول تدريجية لتعويد النبي الأكرم بالوحي ، لذا تم مراعاة طاقة تحمله ، حتى إذا ما بلغ أشده نزل عليه الوحي في شكل نصف سورة أو سورة قرآنية كاملة تقريبا)) (سروش ، ٢٠١٢ ، ص ١٧)، وهو يمتطي راحلته ، أو تفسير تضارب بعض المعطيات المعرفية مع الحقائق العلمية اعتبارا إلى أن تلك المعطيات لم تكن سوى معارف ذلك العصر النبوي الذي أنتجها ، وبذلك لم يكن من المعقول أبدا تحميل الدين أكثر مما يحتمل.

أن هذا التمييز بين البشري والإلهي في عملية الوحي لا يقلل مطلقا من قيمة النبي الأكرم مثلما قد يتبادر إلى ذهن بعضهم محتجين محاجة حرفية بعدد من الآيات التي تشير إلى أن الرسول الكريم ما ينطق عن الهوى ، باعتبار أن الله تكفل بحفظ القران وبيانه لذلك لا حق حتى الرسول الكريم في تحريك لسانه تعجيلا به خوفا من النسيان ، إذا ذهبنا مذهب سروش بالقول بتصرف الرسول في الوحي وتبعية الوحي له ، دون أن ينتبهوا إلى آيات أخرى فيه لمعاتبة للرسول في مسائل مختلفة (سروش ، ٢٠١٢، ص١٥٩-١٦٧) والى أن آيات أخرى مثل أية **((اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا))** (سورة المائدة الاية ٣٠٥) ، نزلت بعدها آيات أخرى على الرغم من مضمونها الصريح الذي يشير إلى اكتمال التنزيل وانتهاء الوحي ، مع أنها في الحقيقة اكتمال الدين في الحد الأدنى لا في الحد الأقصى)) (سروش ، ٢٠١٢، ص ٢٠١).

لا بد لنا من الإشارة إلى أن تصور سروش لظاهرة الوحي النبوي والنبوة ، يتضمن كذلك أصداء أفكار سبينوزا التي أفصح عنها في كتابه الشهير ((رسالة في اللاهوت والسياسة)) مع بعض التعديلات ، باعتبار إن سبينوزا اقتصر في دراسته على أنبياء الكتاب المقدس وخلص إلى إن الأنبياء **((لم يتلقوا وحيا إلهيا إلا بالاستعانة بالخيال ، أي بواسطة كلمات أو صور تكون حقيقية مرة وخيالية مرة أخرى))** (سبينوزا ، ٢٠٠٥ ، ص ١٣٧) .

٢- النبوة :

يعتبرا هذا العنصر امتدادا منطقيا للعنصر السابق من ناحيتين على الأقل : ناحية تفصيل ما ذكر مجملا وناحية تعمق في استكشاف ما بدا مبهما ، وهما في الحقيقة ناحيتان متكاملتان .

يعتقد سروش أن النبوة تجربة معنوية قائمة على اصطفاء الهي ، لكن هذا الاصطفاء بقدر ما هو تكليف من الباري سبحانه وتعالى ، فانه مكابدة ومعاناة للترقي في مدارج العلم الكشفي الذي يعد من مجالات الوحي والنبوة . يستند سروش إلى بعض الآيات القرآنية التي تدعو النبي صلوات الله عليه إلى الاستزادة من العلم ،مثل قوله تعالى **((وقل ربي زدني علما))** (سورة طه الاية ١١٤) (سروش، ٢٠٠٢ ، ص ١٦)، وهذا يعني مثلما سبق أن اشرنا إلى ذلك إن الرسول الكريم شبيه في هذه النقطة بالشاعر والعارف الذين يعملان على تطوير تجربتيهما ، فكما أن الشاعر المطبوع يطور قصيدته وينقحها على مراحل ، وكما أن العارف يغوص في نفسه ويستغرق في تأملاته ،لينقي روحة من شوائب المادة وأدرانها بسبب حبسها الجسدي فكذلك الرسول الأكرم في عملية صياغته لملفوظ الوحي ، وهاذ ما يفسر ظاهرتي التنجيم والنسخ في القران والوحي (سروش، ٢٠١٢ ، ص ٢٠٢).

يلتفت سروش إلى خطورة هذا الرأي وثقله على اسميه ((المحافظين) و (التقليديين)) لكنه لا يتراجع في دعواه ، وإنما يحث معارضيه على إعادة قراءة القران والانتباه إلى عدد من آيات الذكر الحكيم مثل قوله تعالى **((وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القران جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا))** (سورة الفرقان الاية ٣٢)، بل يذهب إلى حد التصريح بان الوحي وجبرائيل تابعان للرسول ، يقول في ذلك حرفيا **((ليس النبي تابعا لجبرائيل بل جبرائيل تابع له ، فهو الذي ينزل الملك ، ومتى أراد أن يرحل تحقق ذلك))** (سروش، ٢٠١٢، ص ١٩).

يتضح مما تقدم أن سروش يقول: محمد خالق القرآن حيث ادعى أن القرآن ليس نتاجاً للظروف التأريخية الخاصة كما فعل أركون ونصر حامد أبو زيد وإنما هو منبثق من ذهن النبي محمد مع كل ما يحيط به من القيود البشرية.

إن الوحي معرفة مصونة من التغيير والتبدل ولا تأثير للمتغيرات الجارية في عالم الطبيعة والمادة والاجتماع على ماهية الوحي، وذلك لأن مصدره الغيب فالوحي أمر تكويني من صنع الله ولاشك في أنه لا مجال للخطأ في عالم التكوين، قال تعالى: (عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (٢٧) لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا (٢٨)) (سورة الجن الاية ٢٦).

وبقطع النظر على هذا الإقرار السروشي الذي يتعارض مع صريح النص ألقراني في عديد المواضيع ، بل حتى عند نزول الوحي في المرة الأولى التي اختلفت كتب السيرة في تحديد مضمونها ألقراني الأول هل هو أية **((اقرأ باسم ربك))** أم **((يا أيها المدثر))** فإنها جميعا أكدت في أن ما حدث للرسول شكل مفاجأة وصدمة له جعلته يهرع إلى أهله رهبة وجزعا وهلعا ، كما إن سروش كان في غنى عن هذا الادعاء إذ كان يكفيه القول

بوجود علاقة تكميلية تفاعلية بين الرسول وجبرائيل والوحي ، فالتكامل شيء والتبعية شيء أخر . وأننا نعني بالتكامل أن الله سبحانه وتعالى بعد أن اصطفى الرسول الأكرم خاتما للأنبياء كان يعلم أن رعاية الجنس البشري لم تعد تحتمل ((وصاية دينية)) ، بعد إن نضج العقل البشري وأصبح له رصيد معتبر من التجارب المتعددة التي يمكنها أن ترشده إلى أقوام المسالك وتقيه مخاطر المهالك، لذا حرص الباري عز وجل على إن يتسم الوحي والمعجزة الرسول نفسه بطابع عقلاني مغاير للطابع ألعجائبي الذي وسم المعجزات الأنبياء قبله ، مثل موسى الذي شق البحر بعصاه وعيسى الذي كلم الناس صبيا ، فبقدر ما كانت هناك أسباب ومسببات ارتبط بها جانب من التنزيل الإلهي الذي نزل منجما كانت هناك أيضا نداءات إلهية مطلقة تستصرخ الضمير الإنساني على مر العصور والدهور ، تتجلى تلك النداءات في القيم الخالدة ، مثل البر والتقوى والعدل والصبر والحكمة والموعظة الحسنة والتذكير بالمصير الإنساني النهائي .

إن الانجاز الأكبر للنبي الأكرم يمثل في إضفاءه معنى جديد للحياة (سروش، ٢٠٠٩، ص١٥٥) وهو عمل اشترك فيه جميع الأنبياء تقريبا ، لكن كل واحد منهم صاغ المعنى الجديد للحياة وفقاً لخصوصيات عصره وثقافته ، يتجلى ذلك المعنى الجديد بالنسبة إلى نبي الإسلام في سلسلة ((المفاهيم)) التي استحدثها من رحم ثقافة عصره ومجتمعه ، يفصل سروش هذا الأمر بقوله : **((إن العرب الجاهلين لم يستخدموا هذه المجموعة من المعاني والمفاهيم : صراط وسبل ، ومستقيم ، و سوي ، وعوج ، وهدى ، وضلال ، ورشاد ، وشريعة ، ودين ، وطريقة ، وزاد ، ورجس ، وحتى الشيطان يتحدث عنه القران على أساس انه قوة تقف في طريق اهل الحق وفي خط الاستقامة في مجال الدين ، ولم يتحركوا في كلماتهم ومخاطباتهم على مستوى تغيير تصوراتهم المعنوية والمعرفية ، ولكن الوحي المحمدي هو الذي نفخ في هذه المفردات روحا جديدة على أساس محورية (الله) فالأدوات ومصالح البناء كانت متوفرة في مجمل الثقافة العربية ، ولكن محمداً، (ص) هو الذي شيد من هذه المواد عمارة روحية جديدة . إن استخدام النبي لهذه المفردات والمواد في بناء مدرسته الفكرية وتشييد مدرسته الدينية والمعرفية يعود إلى إن هذه الأدوات كانت سائدة لدى العرب قبل الإسلام إلى درجة أنهم كانوا يتقبلون ويفهمون معاني الآيات بدون تأمل ، ويدركون صحة هذا الادعاء دون تردد ((ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر))** (سورة القمر الاية ١٧) (سروش ، ٢٠١٢، ص ٦٣-٦٤).

اذا كان تأثير المدارس النقدية الحديثة واضحاً في التصور السروشي لحقيقة الانجاز النبوي ، إذا ترجع تلك المدارس إبداع الأدباء العظماء غالبا إلى هذا العنصر الحيوي ، فانه يعطي معنى أخر للإعجاز النبوي والقرآني ، ويمنح المسلمين حافزا نفسيا ومعرفيا لإرساء معرفة دينية جديدة قوامها دراسة هذا المجال وغيره من المجالات التي تتقاطع معه وترتبط به.

ينطلق سروش من مسلمة أساسية فحواها عدالة الله التي لا ترتضي الظلم لمخلوقاته، لذا فان الله سبحانه وتعالى اسمي من إن يكلف الناس بما لا يحتملون أو بما لم يعتادوه ويألفوه، لذلك كانت الإحكام التي أوردها على لسان نبيه عادلة بالنسبة إلى ذلك العصر وناسه ، ويدعم سروش وجهة نظره ببعض البحوث التاريخية أو القانونية مثل تلك التي قام بها جواد علي في بحثه حول تاريخ العرب المفصل في جزيرة العرب قبل الإسلام، أو محمد عشماوي حول الشريعة الإسلامية الذي انتهى فيه إلى قول بان أكثر من ٩٩% من التشريعات والإحكام التي أصدرها النبي الكريم كانت مألوفة في زمنه ، يقول سروش **((أن الله تعالى امضي قوانين التي شرعها النبي . الهاجس الأساسي للنبي في أمر التقنين هو أن هذه الإحكام والقوانين لا بد ا ن تكون عادلة في اجواء زمانه وتبتعد عن الظلم في**

عرف ذلك الوقت ، لأنها تمثل العدالة المطلقة وفوق التاريخية . بمعنى أن النبي عمل على إصدار قوانين وتشريعات كانت تقترن بالعدل في مفهوم تلك الأجواء وتلك الأذهان وبعيدة عن طريق الظلم والجور في ذلك الزمان)) (سروش ، ٢٠١٢، ص ١٢٦).

يتضمن كلام سروش المذكور أنفا تورية ، إذ يلمح بطريقة ذكية إلى أن حديث بعض التيارات الإسلامية بتطبيق تلك الإحكام في مجتمعاتها المعاصرة ليس عملية إسقاط فقط ، وإنما هو ظلم فظيع يتنافى تماما مع مقاصد الإسلام الكبرى وعدالة الله تعالى .

يعكس ذلك الموقف السروشي نفحات ((اعتزالية) تجل العقل وتبجله في إطار مقولة (الحسن والقبيح) العقليين على مدارها أن الحسن ما حسنة العقل ، والقبح ما قبحه العقل ، يقول سروش في كتابه التراث والعلمانية **((وأما اكتشاف الأنبياء فهو أنهم قالوا للناس أولا : الله موجود أن الأنبياء هم الذين عرفوا وبينوا حقيقة الإلوهية للناس ، وثانيا قالوا أن رضاء الله وسخطه يتوافق مع حسن الأشياء وقبحها . أي أن ما يحكم به عقل الإنسان بأنه حسن، فان الله تعلى يحبه ويريده وما يحكم به عقل الإنسان بأنه قبيح ، فان الله تعالى يبغضه ، وبكلمة ثانية أن العقل والشرع لا يتحركان باتجاهين مختلفين ، حيث تختلف أعمال وسلوكيات الإنسان أذا كان مؤمنا ومطيعا لله في حركته وسلوكه إذا كان غير مؤمن ،فالمؤمنون لا يتحركون في طريق يختلف عن طريق عقلاء الناس والغالب هو تطابق هذين المدارين))** (سروش ، ص ١٠).

لم يكن هذا التصور السر وشي مندرجاً ضمن البحث عن تأصيل قراءته العقلانية للدين كما قد يتبادر إلى الذهن ، وإنما في إطار التدرج لصياغة نظرية معرفية منطلقة من البسيط إلى المركب وشتان بين توفيق يعتمد التلفيق لإثبات أصلة أصالة مزعومة بين توفيق يهدف إلى التدرج في الكشف عن الحقيقة الكاملة وصياغة نظرية معرفية تامة . يدعم هذا الرأي إشارة سروش في مرحلة تالية إلى نتيجتين بارزتين : تتعلق النتيجة الأولى بإقراره .

المبحث الرابع

نقد نظرية الوحي عند عبد الكريم سروش

نقد نظريّة الوحي عند سروش

انقسمت نقود عبد الكريم سروش حول نظريته عن الوحي إلى قسمين رئيسيين : فهناك من كفّر الباحث وأثار ضجّة حول مواقفه وأفكاره ودعا إلى إقامة الحدّ عليه؛ وهناك من دعا إلى مجادلة الرجل علميّاً ودحض نظريته وتبيان خطئها أو انحراف قصدها علميّاً. وقد جادل عبد الكريم سروش كثير من علماء الحوزة المقدّسة في إيران، وناقشه آخرون في مقالات شهيرة جُمع بعضها في كتاب إلكترونيّ من إصدارات مركز الموعود الثقافي بالكويت بعنوان: "حوارات مع عبد الكريم سروش .ومن أهمّ المقالات التي راجعت أطروحة الباحث في رصانة علميّة جليّة يمكن أن نذكر:

- بنية الوحي وحقيقة القرآن: وهو حوار مهمّ بين الشيخ جعفر السحباني وعبد الكريم سروش حول نظريّة الوحي.
- القرآن والوحي دراسة فلسفيّة دينيّة: نقد نظريّة سروش للشيخ حسين المنتظري ترجمة السيّد حسن مطر.
- نظريّة وحيانيّة ألفاظ القرآن الكريم: أدلّة وبراهين، للدكتور إبراهيم كلانتري.
- نظريّة بشريّة الوحي والقرآن: فكرة بوذيّة مرفوضة، لحميد رضا مظاهري يتربي.
- شطحات سروش: هل كفر سروش أم أخطأ؟ لمحمد نصر الأصفهاني.

ولعلّ اللافت في هذه المراجعات سعي علماء الحوزة إلى مناقشة سروش بعيداً عن أساليب التكفير والضجّة المُخرجة هذه المسائل من سياقها العلميّ إلى سياق يسيء للحضارة الإسلاميّة ويشوّه تاريخها، لذلك يقول مقدّم مقال بنية الوحي وحقيقة القرآن: "إنّ الذي أخرج هذه المسألة من حياض الضجيج وساقها نحو أودية العلم إجابة الشيخ جعفر السحباني، وهو من مشاهير أساتذة الحوزة العلميّة في قم المقدّسة، حيث سار على نهج العلماء والأئمّة وسعى إلى إجابة الدكتور سروش من خلال الطرق العلميّة، وقد كان ملفتاً للانتباه إجابة الدكتور سروش (سبحاني ، ص ١٤) عن إجابة الأستاذ جعفر السحباني، ولو أمكن لنا أن نحذف بعض التعابير لأصبح الحوار بين الطرفين علميّاً مائة بالمائة (سبحاني ، ص ٢٠) .

وتتفق الردود حول حقيقة أنّ ظاهرة الوحي شغلت أذهان المحققين وعلماء المسلمين وغيرهم منذ القدم، وقد ظهرت نظريات متضادّة حتى بين علماء المسلمين والمتكلّمين أنفسهم، لذلك لا إشكال في مجادلة سروش ودحض نظريته إذا تطلّب الأمر ذلك. وقد ركّز الشيخ حسين منتظري في نقد نظريّة أركون على البعد التداوليّ في القرآن ليبرز أنّ النبيّ هو المتلقي للوحي والمأمور بإبلاغه، وهو لعصمته وأمانته لم يكن له من دور إلا الوساطة في إبلاغ كلام الله لا أن تكون الألفاظ من صنعه، ويستند مُنتظري بجملة من الآيات تثبت عباراتها أنّ القرآن وحي من الله نزل على النبيّ الأكرم وكذلك قوله: "فإذا قرأناه فاتّبع قرآنه" (سورة القيامة الآية ١٨)، إذ تدلّ بوضوح على أنّ الوحي والقرآن قد قرئ على النبيّ، والقراءة من شؤون الألفاظ دون المعاني.

ويلفت منتظري الانتباه إلى أنّ لفظ التلاوة في القرآن لم يرد مطلقاً، فقد قيّد دائماً بأوصاف ونعوت دقيقة من مثل قوله:

- نتلوها عليك بالحقّ.
- لتتلو عليهم الذي أوحينا إليك.
- إن هو إلا وحي يوحى علّمه شديد القوى.

وكلّ هذه العبارات تثبت أنّ الألفاظ والمعاني هي من عند الله، وأنّ الرسول لم يكن له من دور في صبّ الوحي في قوالب لفظيّة (المنتظري، ص ١٤٥).

ومن جهة أخرى ينسب القرآن عمليّة الإنزال إلى الله دون النبيّ، مثل قوله: **((طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى))** (سورة طه الاية ١-٢)، **أو قوله: ((وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزّلناه تنزيلاً))** (سورة الاسراء الاية ١٠٦). **أو قوله: ((سنُقرؤُك فلا تنسى))** (سورة الاعلى الاية ٦) **وكذلك قوله: ((إنّا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً))** (المنتظري، ص ١٤٧).

وعليه فلو افترضنا بعد كلّ هذه الآيات أنّ الألفاظ من عند النبيّ وقد قرأها للناس على أنّها من عند الله وهي من عنده فسيكون بذلك كاذباً، حيث نسب فعله لله، وهذا ما لا يمكن أن يكون. ويستدلّ منتظري كذلك بالأحاديث النبويّة التي يتحدّث فيها النبيّ عن الوحي مثل قوله مجيباً عن سؤال كيف يأتيك الوحي: "أحياناً مثل صلصلة الجرس وهو أشدّ عليّ فيفصم عنيّ وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثّل لي الملك رجلاً فيكلّمني فأعي ما يقول (المنتظري، ص١٦٠).

وبذلك يتّضح وفق منتظري أنّ النبي لا يتدخّل في صياغة القوالب اللفظيّة للوحي، بل إنّ الألفاظ كالمعاني تصل إليه عن طريق مبدأ غيبيّ، أمّا القول إنّ النبيّ فاعل للوحي فيستلزم -إضافة إلى ما ذُكر من تناقض بين الخطاب في القرآن وبين ما يذهب إليه سروش- التقليل من شأن الوحي وقداسته: **((وذلك أنّ النبيّ وإن كان قد بلغ مقام (فكان قاب قوسين أو أدنى) إلا أنّه لم يبلغ المقام المُطلق للحقّ تعالى، ولم يصل إلى مرتبة وجوده**

اللامتناهي، ولن ينالها أبداً، وطبعاً لا تكون للوحي المستند إليه تلك القداسة والنزاهة وعلوّ المرتبة الثابتة للوحي المستند إلى الله تعالى)) (المنتظري، ص١٦٠).

من جهة أخرى يرى محمد نصر الأصفهاني في مقاله "شطحات سروش: هل كفر سروش أم أخطأ؟" أنّ جرأة الرجل مميّزة، وأنّه يقول ما يسكت عنه كثير من المصلحين الذين يفعلون ولا يتكلمون، وإلا كيف لهم أن يكونوا مقتنعين بدوام حلال الله وحرامه إلى يوم القيامة، ثمّ يُعطّلون بعد ذلك أحكامه بقطع يد السارق مثلاً؟ وهل تعطيلهم هذا ظرفيّ أم دائم؟ فإذا كان مؤقتاً فمتى ينتهي؟

ورغم ذلك لا تخلو رؤية الدكتور سروش عند الأصفهاني من إشكالات طرحها عليه في شكل أسئلة لعلّ سروش إذا أراد أن يُتمّ نظريته ويخرجها في حلّتها النهائيّة أن يجيب عنها (الأصفهاني، ص ١٩٣)، وهي : ما هو المعيار الذي يساعدنا على التفكيك بين لؤلؤ الدين وصدفه؟

مع وجود تداخل وثيق بين مسائل الوحي السياسيّة والاجتماعيّة بالأمور التي يراها سروش أساسيّة في الوحي مثل الله ويوم القيامة والإيمان والإنفاق والجهاد والخشوع والزهد والعبادة، فما هو المعيار الذي يساعدنا على التفكيك بين الأمور التي تقبل الخطأ والأمور التي لا يمكن أن يكون فيها خطأ في الوحي؟

إذا كان الجانب البشريّ هو القابل للخطأ في كلام الله، فما هي الضمانة ألا يقتصر الخطأ على السماوات السبع ورجم الشيطان وما إلى ذلك من الأمور التي يرى سروش أنّها من عرضيات الدين؟ ولماذا لا ننسب الخطأ إلى بقيّة أجزاء الوحي؟ وما الفرق بين الأمور الاجتماعية والأمور الجوهريّة؟ هل يخلع النبيّ في هذا المجال رداء بشريته ويرتديها في المجال الآخر؟

الخاتمة

لا يمكن أن يُعدّ المفكر الإيراني عبد الكريم سروش من أكثر الباحثين الإسلاميين، ومن أهمّ القضايا التي ظلّت تثير الاهتمام ما خلّفته ثلاثيته الشهيرة: "القبض والبسط في الشريعة و"بسط التجربة النبوية و"الصراطات المستقيمة من جدل مُتعلّق بنظريته في الوحي النبوي، وهي تلك النظريّة التي اعتبر فيها أنّ الوحي عمليّة بشريّة راقية، وأنّ النبيّ محمّداً هو الذي خلق القرآن. فالنصّ القرآنيّ الذي بين أيدينا وفق عبد الكريم سروس هو نصّ نستطيع أن نلمس فيه: "معارف دينيّة يمكن أن يتطرّق إليها الخطأ بالنظر إلى المعارف الإنسانيّة المعاصرة . وهذا الحكم خاضع من قِبَله إلى النظرة التاريخيّة للإنسانيّة التي تعتبر جميع المعارف البشريّة واستنباطاتها الدينيّة تاريخيّة، وهي عرضة للخطأ. فكيف تسنى له ذلك؟

لقد أثار صدور مقالة سروش بخصوص نظريته في الوحي هزة عنيفة في الأوساط المحافظة الإيرانية ، بل لدى بعض الإصلاحيين ، إذ اتهم بالقصور المعرفي وضعف تشعبه بعلوم القران والسيرة النبوية و خلطه بين الإلهام والوحي من دون انتباه إلى الفوارق بين الأمرين (الاصفهاني، ٢٠٠٨، ص١٣٤).

تتلخص نظرية سروش في الوحي إلى اعتباره شكلا من أرقى أنواع الإلهام التي ذكر الله عددا منها في القران الكريم ، سواء كانت الأطراف المعنية بالوحي أو الإلهام بشرا مثل أم موسى ، أو كانت غير عاقلة من حيوان مثل النحل ، أو جمادا أو ملائكة .

انقسمت انتقادات عبد الكريم سروش حول نظريته عن الوحي إلى قسمين رئيسيين : فهناك من كفّر الباحث وأثار ضجّة حول مواقفه وأفكاره ودعا إلى إقامة الحدّ عليه؛ وهناك من دعا إلى مجادلة الرجل علميّاً ودحض نظريته وتبيان خطئها أو انحراف قصدها علميّاً.

وقد جادل عبد الكريم سروش كثير من علماء الحوزة المقدّسة في إيران، وناقشه آخرون في مقالات شهيرة جُمع بعضها في كتاب إلكترونيّ من إصدارات مركز الموعود الثقافي بالكويت بعنوان: "حوارات مع عبد الكريم سروش".

هناك آيات كثيرة تبرز أن النبي هو المتلقي للوحي والمأمور بإبلاغه وهو العصمة وأمانه لم يكن له دور إلا الوساطة في إبلاغ كلام الله لا أن تكون الألفاظ من صنعه مثلما ذكر سروش في تشبيه الرسول بالشاعر، ومن الآيات التي تثبت ذلك قوله تعالى: (فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (١٨)) (سورة القيامة الآية ١٨)، إذ تدل بوضوح على أن الوحي والقرآن قد قرئ على النبي والقراءة من شؤون الألفاظ دون المعاني، وحتى لفظ التلاوة عندما ورد في القرآن دل على نفس المعنى السابق مثل قوله تعالى: (نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ) (سورة آل عمران الآية ١٠٨)

(لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ) (سورة الرعد الآية ٣٠)

(إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ (٥)) (سورة النجم الآية ٤-٥)

بالإضافة إلى ما تقدم ينسب القرآن عملية الإنزال إلى الله دون النبي مثل قوله: (طه (١) مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ (٢)) (سورة طه الآية ١-٢)، وقوله: (وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا (١٠٦)) (سورة الإسراء الآية ١٠٦).

يتضح من ذلك أن النبي لا يتدخل في صياغة القوالب اللفظية للوحي بل أن الألفاظ كالمعاني تصل إليه عن طريق مبدأ غيبي، أما القول أن النبي فاعل للوحي فيستلزم ذلك تناقض بين الخطاب في القرآن وبين وحي الله سبحانه وتعالى، وهذا تقليل من شأن الوحي وقداسته.

Abstract

The concept of revelation when Abdul Karim Soroush

By Kefah Ail Osman

The concept of revelation is a word that takes you into the world of the kingdom, which took the strongest minds of philosophers and thinkers to the most difficult places ambiguous, what was of them, but interpreted them what they mean, because the concept is not connected to a person or invented by a person, this concept of God, means the money I can or can thinker to realize his mind with the creature of the address and revelation is a mystery from the mysteries of his creation.

The theory of Abdul Karim Sarush in the revelation provoked a violent shake in the Iranian conservative circles, but some of the reformers, because they are epistemological epochs and the weakness of the ramifications of Quranic sciences and the Prophet's biography and mixing it between inspiration and revelation without attention to the differences between the two things.

The theory of Soroush in Revelation summarizes it as a form of the most inspiring type of inspiration mentioned by God in the Holy Qur'an, whether the parties concerned with revelation or human inspiration such as the mother of Moses or the irrational of an animal such as ants divided the criticisms of Srouch into two parts about his theory of revelation there from Kafr al-Bahar and raised his feelings about his positions and his denial and called for the establishment of the limit and there are those who called to argue with the man scientifically and refuted his theory and to indicate the error or deviation of its scientific intent.

Keywords: Revelation is a metaphysical teaching of those who are lined up by the Almighty

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

أولاً : مؤلفات الباحث عبدالكريم سروش

١. سروش، عبدالكريم، التراث والعلمانية، العراق، النجف، دار الفكر الجديد، ٢٠٠٧م.
٢. سروش، عبدالكريم، القبض والبسط في الشريعة، ترجمة دلال عباس ، ط١، بيروت، دار الجديد ٢٠٠٢م.

ثانياً : المراجع

٣. ابن رشد، أبي الوليد محمد، تهافت التهافت، تحقيق سليمان دنيا، ط١، دار المعارف، ١٩٦٤.
٤. ابن منظور، لسان العرب، مجلد ١٤، بيروت ، دار المصادر.
٥. اركون، محمد ، تاريخية الفكر الإسلامي، ترجمة هاشم صالح، ط ٢، بيروت، مركز الفكر الثقافي، ١٩٩٦م.
٦. اركون، محمد: نقد العقل الديني ، ترجمة هاشم صالح، ط٣، بيرون، دار الطليعة، ٢٠٠٤م.
٧. اركون، محمد، الفكر الأصولي واستحالة التأصيل ، ترجمة هاشم صالح، ط١، بيروت، دار الساقي، ١٩٩٩م.
٨. اركون، محمد، القران في التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ترجمة هاشم صالح، ط٢، بيرون، دار الطليعة، ٢٠٠٥م.

٩. بورساشن، إبراهيم ابن عبد الله ، الفقه والفلسفة في الخطاب ألرشدي، ط١، بيروت، دار المدار الإسلامي، ٢٠١٠م.
١٠. جيراد جهامي، وسميع دغيم ، رفيق العجم ، موسوعة مصطلحات الفكر النقدي العربي الإسلامي المعاصر، ط١، ج٢، بيروت، مكتبة لبنان، ٢٠٠٤م.
١١. الحربي، خالد، الكندي والفارابي (رؤية جديدة) المنشئ، ط٣، الإسكندرية، دار المعارف، ٢٠٠٣م.
١٢. حوارات مع عبدالكريم سروش، مجموعة من المؤلفين، مركز الموعود، الكويت، ط١، ٢٠١٣م.
١٣. خليفتي، عبد المجيد، قراءة النص عند محمد اركون، ط١، بيروت، منتدى المعارف، ٢٠١٠م.
١٤. سبحاني، جعفر : مدخل إلى العلم والفلسفة والإلهيات (نظرية المعرفة)، بقلم حسن محمد مكي العاملي، ط١، مطبعة القدس، ١٣١١هـ.
١٥. سبحاني، جعفر: مدخل إلى العلم والفلسفة والالهيات، بقلم حسن محمد مكي، مطبعة القدسي، ط١، ١٣٠٠هـ.
١٦. سبينوزا، رسالة في اللاهوت ، ترجمة حسن حنفي، ط١، بيروت، دار التنوير، ٢٠٠٥م.
١٧. السعدي، احمد فاضل السعدي، القراءة الاركونية للقران، ط١، مركز الحضارة، ٢٠١٢م.
١٨. صليبا ، جميل : المعجم الفلسفي ، قم ، مطبعة سليمان زادة ، ٢٠٠٥م.
١٩. الطباطبائي، السيد محمد حسين، القران في الإسلام ، ترجمة السيد احمد الحسيني، ط١، ايران ، مطبعة سازمان، ١٤٠٤هـ .
٢٠. الطباطبائي، السيد محمد حسين، الميزان في تفسير القران، ط١، ج١٨، بيروت، مؤسسة الأعلى، ١٩٩٧م.
٢١. طه، عبد الرحمن، روح الحداثة، المركز الثقافي العربي، ط١، بيروت، الدار البيضاء، ٢٠٠٦م.
٢٢. العباقي، الحسن، القران الكريم والقراءة الحداثية، ط١، دار الصفحات، ٢٠٠٩م.
٢٣. نصر، محمد عارف، إشكاليات الخطاب المعاصر، ط١، دمشق، دار الفكر، ٢٠٠١م.
٢٤. اليازجي، كمال، وانطوان غطاس، أعلام الفلسفة العربية، ط٤، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٩٠م.

ثالثاً : المجلات العلمية

١. أبو ريدة، عبدالهادي، رسائل الكندي الفلسفية ، مطبعة الاعتماد ، مصر، دار الفكر العربي، ١٩٥٠م.
٢. الأصفهاني، محمد نصر، شطحات سروش هل كفر أم اخطأ ؟، ترجمة: حسن مطر، مجلة نصوص معاصرة ، عدد ١٥، ٢٠٠٨م.
٣. زراقط ، محمد حسن، الوحي في التصور الإسلامي، لبنان، مجلة المحجة، عدد ٢٥، ٢٠١٢م.
٤. العاملي، محمد محمود مرتضى، ابستمولوجيا الوحي عند العلامة الطباطبائي، لبنان، مجلة المحجة ، ص٦١.
٥. الكتابي، احمد، عبدالكريم سروش والتجربة النبوية، جريدة المثقف، عدد ٢١٥١، ٢٠١٢م.